﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران: 134]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

الشروع في بيان صفات المتَّقين

بعد التَّمهيد للآيات بالأمر بطاعة الله والرَّسول، ثمَّ الحثِّ على المسارعة إلى مغفرة من الله وجنَّةٍ عرضها السَّماوات والأرض أُعدَّت للمتَّقين، شرع في بيان صفات المتَّقين الذين أعدَّت لهم تلك الجنَّة - وهي صفات بارزة - شروعًا يدعو إليه حال الصِّراع مع الأعداء، وهي: الإنفاق في السَّرَّاء والضَّرَّاء، وكظم الغيْظ، والعفو عن النَّاس، وأنَّ من اتَّصف بتلك الصِّفات، فهو من أهل الإحسان، والله يحبُّ المحسنين. قال الرازيُّ: "اعلم أنَّه تعالى لمَّا بيَّن أنَّ الجنَّة معدَّة للمتقين؛ ذكر صفات المتَّقين حتَّى يتمكَّن الإنسان من اكتساب الجنَّة بواسطة اكتساب تلك الصِّفات"[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يُنفِقُونَ﴾: الإنفاقُ في أصل اللُّغة: يفيد معنى المضيِّ والنَّفاد، ومنه نَفَقَ البيعُ؛ إذا نفِد، واصطلاحًا بمعنى: بذلُ المال وصرفه، والإنْفَاقُ قد يكون في المَالِ أو بغَيْرِهِ، وقد يكون واجبًا أو تطوُّعًا، وفي الحديث: "إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا، حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فَمِ امْرَأَتِكَ"[2].

وما في القرآن من هذا التركيب - عدا النَّفَق: السَرَب في بطن الأرض - فإنَّ الفعل، (أنفق) وما تصرَّف منه، وكلمة (نفقة)، (نفقات) كلُّ ذلك بمعنى إخراج مالٍ أو غيرِه ممَّا يُملكُ من الحَوْزة،

(1) الرّازي، مفاتيح الغيب: 8/334.
(2) البخاري، صحيح البخاري، الحديث رقم: (56).

وأمَّا الفعل (نافق) وما تصرَّف منه فهو بمعنى إظهار الإسلام مع إبطان الكفر، والمنافق يخالف قولُه فعلَه، وسرُّه علانيتَه[1].

2) ﴿ٱلسَّرَّآءِ﴾: جذر الكلمة (سرَّ)، وهو إِخْفَاءُ الشَّيْءِ، وأخذ مِنْهُ السُّرُورُ؛ لِأَنَّهُ أَمْرٌ خَالٍ مِنَ الْحُزْنِ، الحالة التي تسرُّ مأخوذة من السُّرور، وهو: ارتياحٌ في القلب عند حصول نفع، أو توقُّعه، أو اندفاع ضرٍّ[2]، وفسَّره الرَّاغب بأنَّه ما ينكتم من الفرح[3]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا ١١﴾ [الإنسان: 11]، أي: نضرة في الوجوه، وسرورًا في القلوب. وقال في أهل النار: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورًا ١٣﴾ [الانشقاق: 13]، تنبيهًا على أنَّ سُرُورَ الآخرة يضادُّ سرور الدُّنيا، وسمِّيَ السَّرِيرُ الذي يجلس عليه أخذًا من السُّرور؛ إذ كان ذلك لأُولي النِّعمة، وجمعه أَسِرَّةٌ، وسُرُرٌ، قال تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٖ مَّصۡفُوفَةٖۖ﴾ [الطور: 20]، ﴿فِيهَا سُرُرٞ مَّرۡفُوعَةٞ ١٣﴾ [الغاشية: 13].

3) ﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾: جذر الكلمة (ضَرَر)، ألحقَ به أذًى أو مكروهًا، وكذا ضرَّ به، وأضرَّه، وبه، وضارَّه، من الحالة التي تضرُّ، وهو في أصل اللُّغة: ضدُّ النَّفع،، وهو بمعنى: الشدَّةِ وسوءِ الحال، إمَّا في نفسه؛ لقلَّة العلم والفضل والعفَّة، وإمَّا في بَدَنه؛ لعدم جارحة ونقص، وإمَّا في حالة ظاهرة؛ من قلَّة مال وجاه[4].

4) ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ﴾: الكظم، بمعنى: الحبس، قال ابن فارس: "الكاف والظَّاء والميم: أصل صحيح يدلُّ على معنًى واحد، وهو الإمساك والجمع للشَّيء، من ذلك الكظم: اجتراع الغيظ، والإمساك عن إبدائه، وكأنَّه يجمعه الكاظم في جوفه"[5]، وذكر السَّمين الحلبيُّ أنَّ الكظم معناه: أن يحبس غيظه، وهو قادر على الإيقاع بعدوِّه[6]، ومنه الحديث: "مَن كَظَمَ غَيظًا وهو قادِرٌ على أنْ يُنْفِذَه، دَعاهُ اللهُ على رُؤوسِ الخَلائقِ حتى يُخَيِّرَه مِن أيِّ الحُورِ شاءَ"[7].

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات، والسّمين، عمدة الحفاظ، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (نفق).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، وإبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط: (سرر).
(3) الراغب، المفردات (سرر).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (ضر).
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (كظم).
(6) السمين، عمدة الحفاظ: (كظم).
(7) الحديث رواه أبو داود، برقم: (4777)، والترمذي، الحديث رقم: (2021)، وابن ماجه، الحديث رقم: (4186)، وأحمد، الحديث رقم: (15637) واللفظ له.

5) ﴿ٱلْغَيْظَ﴾: يدلُّ معنى الغيظ في أصل اللُّغة على كَرْب يلحق الإنسان من غيره[1]، وهو: أشدُّ أنواع الغضب، والغضب: هيجان في الطَّبع، قال الرَّاغب: " الغَيْظُ: أشدُّ غضب، وهو الحرارة التي يجدها الإنسان من فَوَرَان دم قلبه"[2]، فالغيظ أخصُّ من الغضب، فكلُّ غيظ غضب، وليس كلُّ غضب غيظًا[3].

6) ﴿وَٱلْعَافِينَ﴾: أصل العفو في اللُّغة هو: الكفُّ عمَّا لا يحلُّ له، ولا يجمل به، والتَّرْكُ وَالإِسْقَاطُ[4]، ومعناه اصطلاحًا: السّمَاحُ وَالصّفْحُ وَعَدَمُ المُعَاقَبَةِ، والقصد لإزالة الذَّنب، يقال: عفوت عنه؛ إذا قصدت إزالة ذنبه[5]، وَسُمِّيَ السّمَاحُ وَالصّفْحُ عَفْوًا؛ لإِسْقَاطِ العُقُوبَةِ عَلَى صَاحِبِهَا وَمَحْوِهَا عَنْهُ. والمعنى: التَّاركين عقوبة من استحقَّ المؤاخذة والعقاب، وزاد البعض؛ إذا لم يكن في ذلك إخلال بالدِّين[6].

7) ﴿يُحِبُّ﴾: ذكر ابن فارس أنَّ لكلمة المحبَّة ثَلَاثَةَ أُصُول، وهي: اللُّزُومُ، وَالثَّبَاتُ، وَالْحَبَّةُ مِنَ الشَّيْءِ ذِي الْحَبِّ، وَوَصْفُ الْقِصَرِ[7]، إلا أنَّ كلمة المحبَّة هي: بمعنى الميل إلى الشَّيء الموافق، وأصله الثَّبات واللُّزوم، وفسَّرها الرَّاغب بقوله: "إرادة ما تراه، أو تظنُّه خيرًا". والمَحَبَّةُ: المَيْلُ إلى الشَّيْءِ السّارِّ، وهي اسْمٌ للحُبِّ، والحُبُّ: الوِدادُ، ونَقِيضُه: البُغْض، يُقال: تَحَبَّبَ إليه، أيْ: تَوَدَّدَ إليه. وهي هنا صِفَةٌ للّٰه ﷻ، ويُراد بها: صِفَةٌ فِعْلِيَّةٌ اخْتِيارِيَّةٌ ثابِتَةٌ للّٰهِ ﷻ على المعنى اللائق به سُبْحَانَهُ؛ فهو يُحِبُّ ويُحَبُّ[8].

8) ﴿ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: الإحسان أصله: الحُسْنُ: وهو عبارة عن كلِّ مبهج مرغوب فيه، وهو بمعنى: النقاء بخروج الخشن أو الغليظ، والإحسان: يقال على وجهين: أحدهما: الإنعام على الآخرين، يقال: أحسن إلى فلان، والثاني: إحسان في فعله، وذلك؛ إذا علم علمًا حسنًا، أو عمل عملًا حسنًا[9]. وكلُّ ما جاء في القرآنِ من هذا التركيبِ فأصلُه من

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (غيظ).
(2) الراغب: المفردات: 1/109.
(3) السَّمين، عمدة الحفَّاظ، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (غيظ).
(4) الفيروزابادي، القاموس المحيط: (عف).
(5) الراغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (عفو).
(6) الآلوسي، روح المعاني: 2/273.
(7) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حب).
(8) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن سيده، المحكم، والراغب: المفردات: (حب)، والجامي، الصفات الإلهية، ص: 276.
(9) الراغب، المفردات (حسن).

النَّقاء الظَّاهريِّ والباطني، ويفسَّر بالطيِّب المستحلَى، أو المستحبِّ صورةً كان، أو مُقامًا، أو قولًا، أو عملًا، أو أداءً، أو تصرفًا، ومعاملة مع الناس[1].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

المتَّقون: هم الذين يبذلون أموالهم في حالتي اليسر والعسر، ويمسكون أنفسهم من الانتقام من غيرهم، ويتجاوزون عمَّن ظلمهم، والله يحبُّ المحسنين المتَّصفين بمثل هذه الأخلاق.

❁ الإِيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

بلاغة الافتتاح بذكر الإنفاق:

الإنفاق أشقُّ شيء على النّفس وأدله على الإخلاص

وافتتح بذكر الإنفاق في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾؛ "لأنه أشقّ شيء على النّفس وأدله على الإخلاص، ولأنه كان في ذلك الوقت أعظم الأعمال للحاجة إليه في مجاهدة العدو ومواساة فقراء المسلمين"[2].

بدأ وصف المتقين بالإنفاق مقابلته بالرّبا الذي نهي عنه في الآية السابقة

(أحدهما) مقابلته بالرّبا الذي نهي عنه في الآية السابقة؛ فإن الربا هو استغلال الغني حاجة المعوز وأكل ماله بلا مقابل، والصّدقة إعانة له وإطعامه ما لا يستحقه فهي ضدّ الرّبا، ولم يرد في القرآن ذكر الرّبا إلا وقُبِّحَ، ومدحتْ معه الزكاة والصَّدقة كما قال في سورة الروم: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الروم: 39] وفي سورة البقرة: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ﴾ [البقرة: 276].

إنّ الإنفاق في السّراء والضّراء أقوى في الدلالة على التّقوى

إنّ الإنفاق في السّراء والضّراء أقوى في الدلالة على التّقوى، وأشقّ على النفوس، وأنفع للبشر من سائر الصفات والأعمال،

(1) جبل، المعجم الاشتقاقي: (حسن).
(2) الزمخشري، الكشاف: 1/415.

فإنّ المال عزيز على النفس؛ لأنه الآلة لجلب المنافع والملذّات، ودفع المضار والمؤلمات، وبذله في طرق الخير والمنافع[1].

سرُّ التّعبير بالاسم الموصول:

وجه التّعريف بالاسم الموصول تعليل الاستحقاق بالمغفرة والجنَّة

بعد الحديث عن الجنَّة ذكرَ أهلها، بيَّن أنَّ من صفاتهم الإنفاق وكظم الغيظ والعفو عن النَّاس، وجاء التَّعريف بالاسم الموصول في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾؛ لتعليل استحقاقهم المغفرة والجنَّة التي أعدَّها الله للمتَّقين، أي: علَّة إدراجهم في سلك المتَّقين.

نكتة تخصيص الإنفاق في السَّراء والضَّرَّاء:

ملازمة الإنفاق في هذين الحالين تدلُّ على أنَّ محبَّة نفع الآخرين قد صارت لهم خُلقًا

الإنفاق في السَّرَّاء والضَّرَّاء، أي: في حالتي الفرح والحزن، قال ابن عاشور: "وكأنَّ الجمعَ بينهما هنا؛ لأنَّ السَّرَّاء فيها ملهاة عن الفكرة في شأن غيرهم، والضَّرَّاء فيها ملهاة وقلَّة موجدة، فملازمة الإنفاق في هذين الحالين تدلُّ على أنَّ محبَّة نفع الآخرين بالمال الذي هو عزيز على النَّفس، قد صارت لهم خُلقًا، لا يحجبهم عنه حاجب، ولا ينشأ ذلك إلا عن نفس طاهرة"[2].

بلاغة الطباق في لفظي السّراء، والضّراء:

في الطباق تجلية لأحوال الإنسان وتقلُّبِه في دول الأيَّام بما يكون تذكرة له

الإنفاق في السَّرَّاء والضَّرَّاء، أي: في اليسر والعسر، وهو طباقٌ، وفيه جناس لاحق؛ لأن الحرفين المختلفين غير متقاربي المخرج. و﴿ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ حالتان يتقلَّب فيها الإنسان في جميع الأحوال، أي: أنَّهم رغبوا في المعاملة مع الله، وأنفقوا أموالهم تقرُّبًا إليه سبحانه، فلم يبطرهم الرَّخاء، فينسيهم فضل الله ورحمته، ولم تمنعهم الشِّدَّة، وما يضرُّهم، فيبخلوا بما أعطاهم الله سبحانه[3] ووصف المتقين بالإنفاق في السراء والضراء على طريق الطباق؛

(1) رضا، تفسير المنار: 4/109.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/91.
(3) ابن الجوزي، زاد المسير: 9/366.

أدلُّ على التقوى لمشقّته على النفوس، وأظهر لنا قيمة الطِّباق بين اللَّفظين المتضادَّين بالوصفين؛ تجليةَ أحوال الإنسان، وتقلُّبَه في دول الأيَّام بما يكون تذكرةً له، مانعة من الرُّكون إلى ما تؤثره حالة من الحالات العارضة؛ ليؤدِّي واجب عبادة الله في الوقت الّذي يكون متلبِّسًا به، كالشُّكر في السَّرَّاء، والصَّبر في الضَّرَّاء، وابتغاء مرضاة الله على كلِّ أحيانه وأحواله.

بلاغة المقابلة في لفظي السّرّاء والضرّاء:

اختير اللفظان المختلفا التقابل ليدلّ كلُّ واحدٍ على مُقابله

في لفظي السّرّاء والضرّاء في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ " إشارةٌ إلى حالي السّعة والضّيق، كاليسر والعسر، وإلى حالي السرور والاغتمام، وقد فُسر بهما. واللفظ يتناولهما، فإن السراء يقابلها الغم، والضراء يقابلها النفع، فأخذ اللفظان المختلفا التقابل ليدل كل واحد على مقابله، وهذا من دقائق إيجازات البلاغة، فمن نظر إلى معنى السراء قال السرور والغم، ومن نظر إلى معنى الضراء قال النفع والضر"[1].

بلاغة صيغة المضارع ﴿يُنفِقُونَ﴾:

في المضارعيّة استحضارٌ للمشهد، وبيانٌ لتجدد الإنفاق

والتَّعبير بصيغة المضارع في ﴿يُنفِقُونَ﴾؛ استحضارٌ لصورة المشهد، وبيان لتجدُّدِ إنفاقهم في كلِّ حال. فحيثما كان الإنفاق أمرًا متجدِّدًا؛ عبَّر عنه بما يفيد الحدوث والتَّجدُّد من بناء[2].

بيانُ الإيجاز بحذف مفعول ينفقون:

دلالة حذف المفعول شمول كلِّ ما يصلُح للإنفاق

وحذف مفعول ينفقون؛ ليتناولَ كلَّ ما يصلُح للإنفاق أو متروكٌ بالكلية كما في قولك يُعطي ويمنَع[3].

بيانُ صيغة اسم الفاعل ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ﴾:

العدول إلى صيغة الفاعل؛ للدَّلالة على ثبوت صفة الكظم بهم،

(1) الراغب، تفسير الراغب: 2/586.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 2/85.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 2/85.

ودوامها فيهم، وأنّ الكظم فيهم هو بمنزلة الحاصل الثابت المستقرّ. أمَّا الإنفاق؛ فحيثما كان أمرًا متجدِّدًا؛ عبَّر عنه بما يفيد الحدوث والتَّجدُّد[1]. ويفيد التَّهيُّؤ للتحلِّي بذلك الخلق كلَّ حين، ولبذله لمن ساقته أقداره إليه، لدلالة اسم الفاعل على الاستقبال، وأنَّهم ربُّوا أنفسهم عليه، واستعدُّوا له.

أفـــاد اســم الفاعل الدَّلالة على ثبوت صفة الكظم بهم، ودوامها فيهم

حُسن اختيار لفظ الغيظ دون الغضب:

الغَيْظُ في قوله: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾ هو أشدُّ أنواع الغضب، والغضب: هيجان في الطَّبع، قال الرَّاغب: "الغَيْظُ: أشدُّ غضب، وهو الحرارة التي يجدها الإنسان من فَوَرَان دم قلبه"[2]. فالغيظ أخصُّ من الغضب، فكلُّ غيظ غضب، وليس كلُّ غضب غيظًا[3]. فـ" كظم الغيظ: إمساكه وإخفاؤه حتى لا يظهر عليه، وهو مأخوذ من: كَظَمَ القِرْبَة؛ إذا ملأها، وأمسك فمها، قال المبرِّدُ: فهو تمثيل للإمساك مع الامتلاء، ولا شكَّ أنَّ أقوى القوى تأثيرًا على النَّفس القوَّة الغاضبة، فتشتهي إظهار آثار الغضب، فإذا استطاع إمساك مظاهرها مع الامتلاء منها؛ دلَّ ذلك على عزيمة راسخة في النَّفس، وقهر الإرادة للشَّهوة، وهذا من أكبر قوى الأخلاق الفاضلة"[4].

الـغـيـظُ أخـصُّ مـــن الـغـضـب بـوصـفـه أشـدَّ أنواعه

توجيه مصدريّة لفظ ﴿ٱلْغَيْظَ﴾:

و﴿ٱلْغَيْظَ﴾: مفعول به لاسم الفاعل ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ﴾، وجاء التَّعبير به بصيغة المصدر؛ لإفادة المبالغة؛ لما يفيده المصدر من قوة الحدث.

التّعبير بالمصدر قصدٌ إلى المبالغة

بلاغة الاستعارة في جملة كظم الغيظ:

في قوله تعالى: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾ استعارةٌ؛ إذ شبّه امتناعهم

فـي الاستعارة بـيـانٌ لـشـدّة منعهم الغيظ بتشبيهه بربط الـسّـقـاء لمنع خروج مافيه

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 2/85.
(2) الراغب، المفردات: (غيظ).
(3) السَّمين، عمدة الحفَّاظ: (غيظ).
(4) ابن عاشور: التحرير والتنوير: 4/91.

من إنفاذ الغيظ برباط من خيطٍ على سقاءٍ ليمنعه من خروج ما فيه، فأصل الكظم ملءُ السّقاء ماءًا ثم الشدُّ على فمه بكظامه[1].

توجيه التّعبير عن العفو باسم الفاعل:

التعبير باسم الفاعل يفيد تمكُّن الصِّفة من الموصوف حتى أصبحت اسمًا له

العفو هو: القصد لإزالة الذَّنب، ومعناه هنا، أي: التَّاركين عقوبة من استحقَّ المؤاخذة والعقاب؛ إذا لم يكن في ذلك إخلال بالدِّين[2]. والتَّعبير بصيغة اسم الفاعل في قوله: ﴿وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ﴾ دون الفعل؛ لأنَّ العفو أشبه بالكظم منه بالامتلاء[3]، كما يفيد تمكُّن الصِّفة من الموصوف حتى أصبحت اسمًا له؛ فوصف العفو ثابتٌ فيهم، دائمٌ، مستقرٌّ.

علّة الجمع بين صفتي التَّقوى والإحسان:

وجهُ الجمع بين الإحسان والتَّقوى؛ لبيان وجوب تحقُّق هذين الوصفين لنيل المغفرة والجنَّة الموعودة، فالتَّقوى باعتبار الأصل وصف لترك المنكرات، والإحسان – من حيث دلالته على معنى: "أنْ تعبد الله كأنَّك تراه، فإنْ لمْ تكنْ تراه؛ فإنَّه يراك"[4] وبمراقبة الله وحده وابتغاء وجهه بالعمل – يخلص إلى أنه وصف لفعل الخيرات.

بيان التعبير بالجملة الاسمية:

اسميّة جملة الفاصلة ترسيخ لمحبّة الله للمحسنين

وجيء بالجملة الاسميَّة في قوله: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ لإفادة العموم، وثبات محبّة الله تعالى، ودوامها.

بلاغة الجمع بين المضارع، واسم الفاعل في الفاصلة:

ونصَّصَ على الحبّ، لأنَّه يبلِّغُ منازلَ لا يبلِّغُها العمل، وأمَّا صيغة المضارعة؛ فللإغراء الدّائم لبلوغ رتبة الإحسان وأنَّ الدّخول في سلْكه والانتظام في أهله ممكن، وأنّ استقبال أهل هذه المنزلة دائم

(1) الإندونيسي، الشامل في بلاغة القرآن: 194.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 2/273.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 2/273.
(4) أخرجه البخاري، حديث رقم: 50، ومسلم، حديث رقم: 9.

لا ينقطع، مستمرٌّ لا يتوقَّف. وأردف دلالة الدوام والاستمرار في حب المحسنين ببيان العليّة من خلال صيغة الفاعليّة، وجمع الذكور الدّالين في هذا الموضع على العموم، ورسوخ صفة الإحسان فيهم، وثباتها صنيعًا ملازمًا لهم.

دوام الحبّ الإلهيّ، برسوخ صفة الإحسان، ودوامها

وجه التعبير بلفظ المحسنين:

قال أبو السعود: "عبَّر عنهم بالمحسنين إيذانًا بأنَّ النُّعوتَ المعدودةَ من باب الإحسانِ، الذي هو الإتيانُ بالأعمال على الوجه اللائقِ الذي هو حسنُها الوصفيُّ المستلزِمُ لحسنها الذاتيِّ"

إيثارُ لفظ المحسنين إشارةٌ إلى أنّ حُسْنَ الأعمال الوصفيَّ مستلزِمٌ حُسنَها الذاتيَّ

دلالة (أل) التعريف في لفظ ﴿ٱلْمُحْسِنِينَ﴾:

الواو استئنافيَّة، و﴿ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ في قوله: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ من الإحسان، والمحسنون هم الذين أحسنوا مع الله: في العبادة، ومع الخلق: في المعاملة. وأل التعريف في ﴿ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ يجوز أن تكون للجنس، فيدخل فيه كلُّ محسن من هؤلاء وغيرهم، ويجوز أن تكون للعهد، فيخصُّ بهؤلاء المذكورين في الآية، والأوَّل أولى، أي: أن تكون للجنس، فيدخل فيه المذكورون في الآية، ويدخل فيه غيرهم، قال أبو السعود: " اللَّام: إمَّا للجنس؛ وهم داخلون فيه دخولًا أوَّليًّا، وإمَّا للعهد"[1].

يجوز في أل الجنسيّة، فيدخل فيه كلُّ محسن من هؤلاء وغيرهم، ويجوز فيها العهديّة، فيخصُّ المذكورين في الآية

❁ الفُرُوقُ المُعْجَمِيَّةُ:

العفو والصَّفح والمغفرة، والحلم:

أصل المغفرة، بمعنى: السَّتر والتَّغطية، فهي تفيد معنى: إخفاء الذَّنب وعدم المؤاخذة به، مع بقاء أثره. أمَّا العفو؛ فهو ترك معاقبة من يستحقُّ، وذلك بإزالة أثر الذَّنب، فالعفو من الله تعالى: هو التَّجاوز عن الذُّنوب وعَنِ العقاب عليها، والعفو من العباد بعدم ذكرها وتناسيها.

المغفرة إخفاء الذَّنب وعدم المؤاخذة به، والعفو تركُ معاقبة من يستحقُّ، وذلك بإزالة أثر الذَّنب

(1) أبو السعود، تفسير أبي السعود: 2/86.

أمَّا الصَّفح؛ فهو أن يُعْطيَ الصافحُ المذنبَ صفحة وجهه إعراضًا، ولازمه ترك التَّثريب والتَّأنيب على ما صُفِح عنه لأجله، فالعفو: ترك عقوبةِ المذنب، والصَّفحُ - على قول الرّاغب - تركُ التَّثريب، وهو أبلغ من العفو؛ وقد يعفو الانسان ولا يصفح، وعلى قول البيضاوي: العفو ترك عقوبةِ المُذنب، والصفحُ: ترك لومه.

ويدل عليه قوله تعالى: ﴿فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ﴾ [البقرة: 109]؛ ترقيًا في الأمر بمكارم الأخلاق من الحسن إلى الأحسن، ومن الفاضل إلى الأفضل[1].

والصّفْحُ: هو التّجاوُزُ عن ذَنْبِ المُذْنِبِ ومُسامَحَتُهُ، والإعْراضُ عن إساءَتِهِ بإزالَةِ أَثَرِ الذّنْبِ مِن النّفْسِ كالبُغْضِ وحُبِّ الانْتِقامِ ونحوِ ذلك، وتَرْكِ عُقُوبَتِهِ بِقَوْلٍ كاللّوْمِ والعِتابِ، أو بِفِعْلٍ كالضّرْبِ ونَحْوِهِ. والصّفْحُ قِسْمانِ: مَحْمودٌ، وهو الصّفْحُ عن المُخْطِئِ إن كان في العَفْوِ عنه مَصْلَحَةٌ، ومنه: الصَّفْحُ عن عَثَراتِ الإخوانِ، وتَرْكُ تَأنِيبِهِم عليها. مَذْمومٌ، وهو الصَّفْحُ في غَيْرِ مَحَلِّهِ؛ فلا يَصْفَحُ حيث اقْتَضَى المَقامُ العُقُوبَةَ، كعُقُوبَةِ المُعْتَدِينَ الظَّالِمِينَ الذين لا يَنْفَعُ فِيهِم إلّا العُقُوبَة[2].

"والفرق بين الحلم والعفو، أن الحلم راجع إلى حال الإنسان في نفسه، والعفو إلى ما بينه وبين غيره، وإن كان قلَّما ينفك أحدهما عن الآخر"[3].

الحلم راجع إلى حال الإنسان في نفسه، والعفو إلى ما بينه وبين غيره

المحبَّة والمودَّة والخلَّة:

المحبَّة: تعني الميل إلى الشَّيء الموافق، ويقترب من معناها: المودَّة والخُلَّة. وقد استعمل القرآن لفظ المودَّة، وهو أعمق من لفظ المحبَّة،

(1) الراغب، المفردات: (صفح)، والعسكري، الفروق اللغوية: 362.
(2) الخليل، العين (صفح)، والكفوي، الكليات، ص: 562، والمناوي، التوقيف، ص: 217، وابن القيم، بدائع الفوائد: 1/168.
(3) الراغب، تفسير الراغب: 3/861.

فهو يعني: محبَّة الشَّيء مع تمنِّي كونه، ويستعمل في كلٍّ واحدٍ من المعنيين، على أنَّ التمنِّي يتضمَّن معنى الودِّ؛ لأنَّ التمنِّي هو تشهِّي حصول ما تودُّه[1].

ومن ألفاظ المحبَّة: لفظ الخُلَّة، وذلك إذا بلغت المحبَّة أن تخلَّلت في نفس المحبِّ، وخالطت جميع أجزاء جسده، وخلا لَهُ صاحبُهُ حتَّى أفرده بالمحبَّة، فيكون قد بلغ مرتبة الخُلَّة، وقد اتَّخذ الله إبراهيم خليلًا، وسمِّي: خليل الرحمن، فقال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ١٢٥﴾ [النساء: 125]، أن جعله صفوةً له، وخصَّه بمعجزاته، والخُلة من العبد كمالُ المحبة المستلزمة منه كمالَ العبودية لله، ومن الرب - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - كمالُ الربوبية لعباده الذين يحبُّهم، ويحبونه، وهذه صفة فعْل للرَّحْمن الرّحيم، لا تُتَأَوَّل، ولا يُتكلَّم فيها بكيْف، ويؤمَن بها، وتقرُّ كسائر ما قال الله عن نفسه؛ إيمانًا بالله، كما جاء عن الله على مراد الله، وإيمانًا بالله كما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله[2].

(1) الراغب، المفردات: (ودد).

(2) ابن تيمية، رسالة العبودية، ص: 24، وابن القيم، روضة المحبين، ص: 47، والقنوجي، فتح البيان: 3/250.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس، سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 5 ، 800 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-57-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 5 : سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-57-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1170694 بتاريخ 2023/03/14م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»